المحاضرة الثامنة:التجريب في الرواية المغاربية.

ارتهن التجريب بالإنجازات المخبرية إلا أن المصطلح مارس رحلة المفاهيم صوب حقول معرفية أخرى وقد حلق في فضاء الإبداع لينخرط في سياق الممارسة الأدبية،فوجدنا الروائي **إيميل زولا** يضع نصا نظريا بعنوان الرواية التجريبية ليعكس ولعه بعلوم عصره ومنها المنهج التجريبي في أعماله الروائية حيث أراد أن يقيم الرواية على أساس علمي.

- ✓ الرواية التجريبية فن تجريبي في المقام الأول وقد ارتبطت ولادتها بالدخول في عالم الحداثة والتجريبيات العلمية المعاصرة من العصر الصناعي فالعصر التكنولوجي فالعصر المعلوماتي الرقمي،وقد كانت الرواية مسايرة لطفرات الوعي المدني حيثما حلت وارتحلت ولقد عاشت في كل عصر من العصور مجدها التجريبي بامتياز.
- ✓ تفتح الرواية التجريبية عالما جديدا يسمح فيه بكل شيء،استخدام الخيال،الأحلام،فالرواية ترتدي ألف رداء وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل لذلك خرج الروائيون التجريبيون عن المألوف فجددوا وأبدعوا مستخدمين تقنيات دخيلة على الرواية المألوفة فأنتجوا الرواية الجديدة أو الحديثة فالروائي التجريبي يسعى إلى توسيع عوالمه الروائية من خلال التنويع وتجديد الأشكال ومغامرة الكتابة.
- ✓ يرى محمد الباردي أن الرواية التجريبية هي رواية الحرية،إذ تؤسس قوانينها الذاتية وتنظر لسلطة الخيال وتتبنى قانون التجاوز،لذلك فهي رفض أي سلطة خارج النص وتخون أي تجربة خارج التجربة الذاتية المحض.
- ✓ لا يهتم التجريب لا بالزمان والمكان هو شكل من أشكال التجاوز ووعي كامل بضرورة التطور لا التسليم بالحقائق المقررة،والركون إلى ما يرسخ في الذهن لأنه من قبيل المسلمات الغير قابلة للاختبار والمساءلة.

- ✓ التجريب قرين الإبداع لأنه يتمثل في ابتكار طرائق وأساليب جديدة في أنماط التعبير الفني المختلفة فهو جوهر الإبداع وحقيقته،عندما يتجاوز المألوف فهو بذلك دعوة إلى التمرد على ما هو سائد والنزوع إلى تفكيك كل ما يحمل طابع القداسة والاحترام في المخيلة العامة فهو انتهاك وثورة على القوانين فأساسه الاختراق والتجاوز.
- ✓ هو عبارة عن اقتراحات في مجالات الإبداع اقتراحات يقصد بها خلخلة ما هو سائد من أجل فتح آفاق جديدة وإثارة الأسئلة والبحث عن صيغ جديدة للخطاب والتواصل
- ✓ عرفه مدحت أبو بكر:هو التمرد على القوانين الثابتة،مرتبط بالديمقراطية وحرية التعبير،مزج بين الماضي والحاضر،إبداع جديد تجاوز للركود،ثورة.

مظاهر التجريب في الرواية المغاربية:

- ➢ **تشظي الشكل الروائي**:بخروجه عن خطية السرد وترتيب الأحداث وتواليها فإذا كان الزمن في الرواية الكلاسيكية يحافظ على خطيته كما هو في الواقع فيحدث التناغم بين زمن القصة وزمن الخطاب،فإن النص الروائي الحديث خلق سبلا لكسر التوالي في السيرورة الزمنية،مع إحلال التقطع بدل الترابط وذلك بالقفز بين الأزمنة وتوظيف المفارقات الزمنية حيث يندمج الماضي في الحاضر والحاضر في الماضي،كما نجد الزمن النفسي من خلال تقنيات الحوار الداخلي والتداعي الحر.
- ➢ **التهجين اللغوي**:من خلال الاشتغال على مستويات لغوية متعددة ويجري ذلك عبر شبكة من التعالقات النصية التي تتراسل مع توظيف لغة التراث السردي والشعري أو اللهجات الدارجة كما في رواية الفينقة و الخطيفة لفرج الحوار،واللغات الأجنبية كما في رواية سيدة المقام لواسيني الاعرج،أو أنواع الخطابات الأخرى لتحقيق درجات مختلفة من شعرية السرد.

- **حداثة بناء الشخصية:**لم تعد الشخصية على أنها كائن بشري من لحم ودم بل أصبحت افتراضا من وحي خيال الروائي،الذي يرمز لها برقم من أو حرف أو ضمير أو ضمير:مثل الكاتب "س" في رواية أرخبيل الذباب لبشير مفتي،أو شخصية "فاء" في رواية السائرون في العتمة لصلاح بوجاه التي يصبح فيها "الحذاء" شخصية مهمة وفاعلة.
- **التجريب البوليفوني:**يرى النقاد أن الرواية نوعان الرواية الكلاسيكية ذات الصوت الواحد وتسمى الرواية المونولوجية،والرواية البوليفونية أو الحوارية أو المتعددة وهي حسب ميخائيل باختين تشبه الموسيقى التي يمزج فيها بين مختلف الألحان،وتنتمي رواية لعبة النسيان لمحمد برادة إلى هذا النوع بما تحتويه من تعدد في الرواة والأصوات وتعدد في الرؤية السردية.
- **الجرأة والتحرر:**فتح الروائيون مجال الكتابة في الثالوث المحرم(الجنس،السياسة،الدين) فكتبوا نصوصا متحررة ومتمردة في الكثير من الخروج عن الأعراف والتقاليد،مثل رواية رشيد بوجدرة الحلزون العنيد،أمين الزاوي في روايتي الساق فوق الساق،الملكة،محمد شكري الخبز الحافي،مسعودة بوبكر طرشقانة،أمال مختار الكرسي الهزاز.
- **استثمار التراث:**استوعب الروائي المغاربي التراث فصار يوظفه بتقنية عالية في إبداعه الروائي،فلا يقوم باجتراره واستنساخه بل يستثمر نصوصه وما تتيحه من توليد أشكال جديدة،يستحضر التراث عبر تقنية التناص مثل رواية الحوات والقصر للطاهر وطار التي تحيل إلى فضاءات ألف ليلة وليلة،توظيف الخطابات الصوفية في رواية تلك المحبة للحبيب السايح،ورواية نوار اللوز التي تحيلنا على تغريبة بني هلال والسيرة الهلالية،ورواية شبابيك منتصف الليل لإبراهيم درغوثي التي انفتحت على كتاب الحيوان للجاحظ،والروض العاطر للشيخ النفزاوي.

- **تراسل الحواس:1-الانفتاح على الفن التشكيلي:**تنفتح الرواية على فن الرسم وتستعير بعض آلياته لتصهرها في بوتقتها السردية،حيث يجتهد الروائي في انتقاء لوحة مثلا من عالم الفن التشكيلي واستحضارها في المتن الروائي كما هو الحال في رواية أصابع لوليتا لواسيني الأعرج التي تسبح في أجواء الفن التشكيلي عبر استلهام لوحة المجدلية على ضوء الشمعة للرسام دولاتور بين،ورواية في انتظار الحياة للتونسي كمال الزغباني،إذ جعل الفن التشكيلي حاضرا من خلال الفتاة نادية ولوحتها تحليق وراح يؤثث بهما فضاءه السردي.

2-**تعالق فني الموسيقى والباليه:**وقد تفاعلت الرواية وهي (الفن القولي)مع الموسيقى وهي(فن بلا كلمات) وكانت هذه التقنية حاضرة في رواية سيدة المقام عبر بطلة الرواية مريم راقصة الباليه،فلم تعد الرواية نصا للقراءة بل مسرحية موسيقية تشاهد وتسمع عبر لغة الروائي التي تنساب بخفة وتتنوع بتنوع المشاهد والنوتات الموسيقية،فتنقل دقائق الحالات والمشاعر فيغدو المتلقي وكأنه جالس في الصفوف الأمامية يشاهد حركات راقصة الباليه الرشيقة وعلى أنغام معزوفة كورساكوف بتوترها.

- **توظيف الرمز العجائبي:**وذلك لخلق عالم فونتاستيكي ساحر لتكسير الرتابة وخلق غرابة مستفزة تصنع قارئا متميزا يستجيب لدهاء الكتابة،ومن الروايات التي حضر فيها العجائبي:روايات الطاهر وطار الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي،أحلام بقرة لمحمد الهرادي،الدراويش يعودون إلى المنفى لإبراهيم درغوثي.
- **تذويت الكتابة:**أي جعل ذات الكاتب حاضرة متفاعلة مع ما تحكيه كما لجأ الكثير من الكتاب إلى كتابة السيرة روائيا،مثل طيور الظهيرة لمرزاق بقطاش،تشرفت برحيلك لفيروز رشام،غرفة الذكريات لبشير مفتي،الموت في وهران للحبيب السايح.

بعض المراجع المعتمدة:

-بن جمعة بوشوشة:التجريب وارتحالات السرد الروائي المغاربي.

-ميشال بوتور:بحوث في الرواية الجديدة.

-محمد الباردي:انشائية الخطاب في الروايات العربية الحديثة.